ثورة التطهير الشاملة ضد الوجود الإيطالي في ليبيا

مايو – أغسطس ١٩١٥م

إعداد

وفاء الضاوي محمد خليفة

إشراف

أ.د/ جمال معوض شقرة
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية التربية – جامعة عين شمس

أ.م. د/ نازك زكي إبراهيم
أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر
كلية البنات – جامعة عين شمس

أ.م. د/ خلف عبد العظيم سيد الميري
أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر
كلية البنات – جامعة عين شمس

المقدمة:

تعتبر معركة القرضابية[١] من أبرز معارك الكفاح الوطني ضد الغزو الإيطالي حيث اعتبرها الإيطاليون هزيمة مرة تشابهت نتائجها كثيراً بما لحق بهم في معركة "عدوة" في عام ١٨٩٦م، وكانت تلك المعركة بداية لتقلص النفوذ الإيطالي في البلاد، حيث انحصر تواجده في نطاق ضيق للغاية، عندما اندلعت ثورة التطهير الشاملة ضد التواجد الإيطالي في البلاد، فقد اشتعلت هذه الثورة في كل من منطقة الساحل الغربي والجبل[٢] فهي نتيجة مباشرة للانتصارات الحاسمة التي تحققت في معركة القرضابية، وهو ما يؤكد ترابط الأحداث الوطنية وتلاحمها ببعضها البعض.

إن الهاجس الذي أقلق بال الإيطاليين بصفة خاصة تمثل في تقلص نفوذهم في منطقة القبلة وفزان وانحصاره في نطاق ضيق للغاية لا يتعدى شمال خط إجدابيا، سرت، مصراتة، بني وليد، مزدة، غدامس وهو نفوذ أصبح مهدداً بالسقوط في أية لحظة، وما ذلك إلا بسبب الضغوط المتتالية التي بدأت تمارسها تجمعات المجاهدين جنوب هذا الخط وحول المناطق المتاخمة لنالوت، والجوش، وسيناون[٣].

لقد تم تقديم هذه الصورة إلى الحكومة المركزية في روما مما جعلها على بينة من هذه الأوضاع وكان من المؤمل منها أن تواجه الثورة الشاملة التي تصاعدت في كل الاتجاهات، وتلك الخسائر البليغة التي لحقت بقواتهم في ليبيا.

وأمام هذا الوضع المتأزم قررت الحكومة المركزية في روما ضرورة المحافظة على المناطق التابعة لنفوذها، والعمل على تحصينها. ولكن رغم هذه الإجراءات فقد استطاع المجاهدون قلب موازين المعركة لصالحهم وإلحاق العديد من الهزائم بهم في محاولة منهم لاسترجاع المدن التي سبق للإيطاليين السيطرة عليها، وإعلان الثورة الشاملة في البلاد والتي يتناولها هذا البحث بالدراسة والتحليل من خلال تقسيمه إلى ثلاثة محاور تسبقهم مقدمة وتليهم خاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، حيث تضمن المحور الأول اندلاع الثورة في الجزء الشرقي من المنطقة الممتدة بين سرت وطرابلس وهي منطقة مصراتة وتاورغاء ومنطقة بني وليد ومنطقة ترهونة، والخمس وزليتن، واستعراض الانتصارات التي أحرزها المجاهدون.

أما المحور الثاني فقد اختص بدراسة الثورة في الجبل الغربي بقيادة خليفة بن عسكر الذي استطاع أن يجمع حوله عدداً كبيراً من المجاهدين وتمكن من محاصرة العدو الإيطالي وإلحاق الهزائم به في عدة معارك.

---

(١) القرضابية: اسم معركة وقعت قرب قصر بوهادي بضواحي مدينة سرت، ويوجد به الآن نصب تذكاري ومقابر رمزية لشهداء المعركة التي جرت يوم ٢٨-٢٩ أبريل ١٩١٦، وقد اجتمعت فيها قوات المجاهدين من شرق البلاد وغربها، وانتهت بهزيمة الإيطالين.

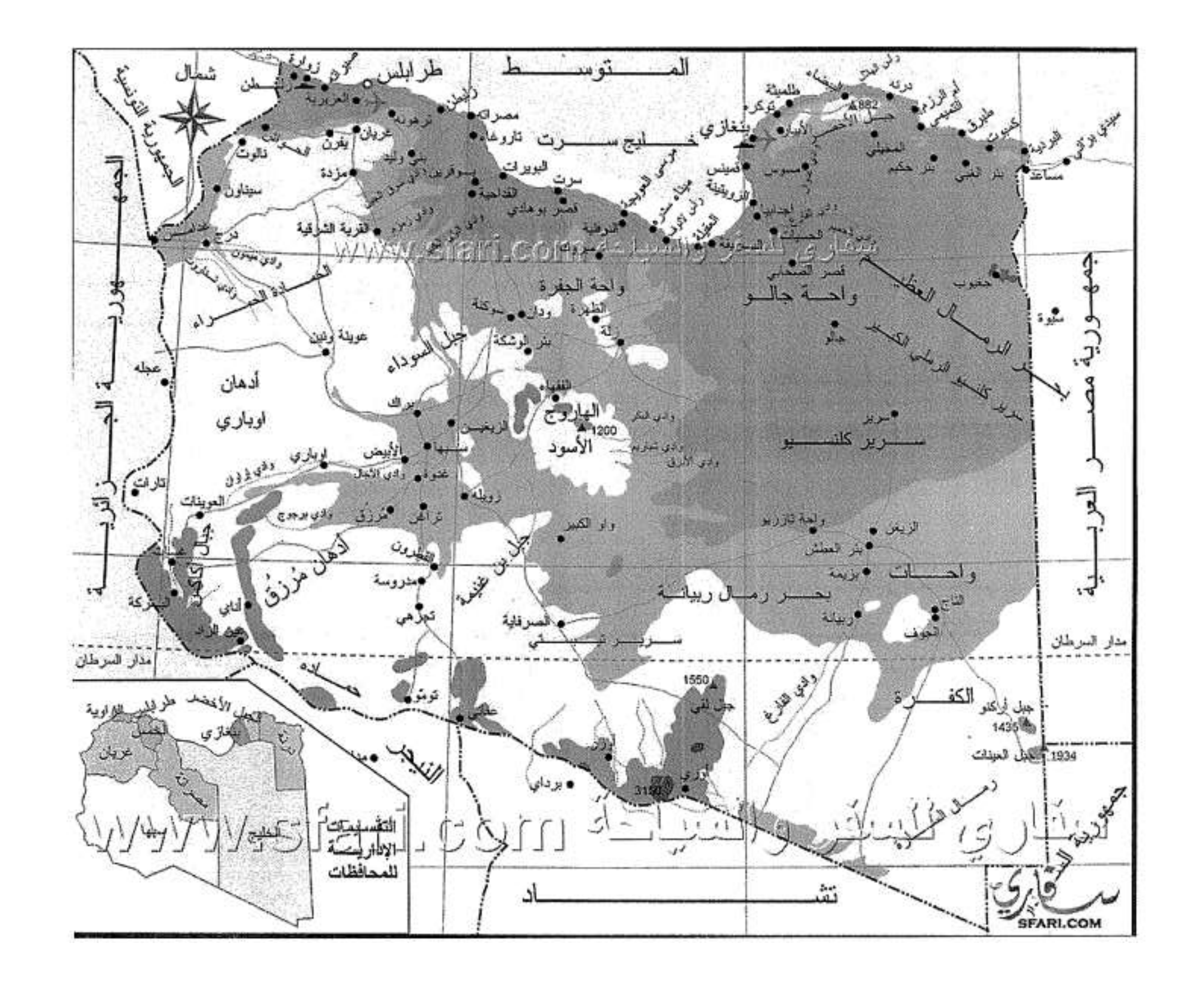
(٢) منطقة الساحل الغربي، المنطقة الواقعة إلى الغرب من العاصمة طرابلس، أما مناطق الجبل فهي تلك المناطق الممتدة إلى الجنوب من العاصمة طرابلس.

(٣) للتوضيح انظر الخريطة.

بينما اهتم المحور الثالث بدراسة الثورة في منطقة غرب طرابلس وجنوبها، لتبدأ مرحلة جديدة من المقاومة.

ثم خاتمة اهتمت بعرض النتائج المستخلصة من البحث.

وقد اعتمد البحث أيضاً على قائمة مفصلة من المصادر والمراجع التي أسهمت في إخراجه بالمستوى المطلوب.


المتوسط
طرابلس
شمال
خليج سرت
بنغازي
مصراتة
سرت
البريقة
اجدابيا
طبرق
درنة
البيضاء
المرج
زوارة
صبراتة
العزيزية
ترهونة
غريان
يفرن
نالوت
مزدة
بني وليد
غدامس
درج
القرية الشرقية
الجمهورية التونسية
الجمهورية الجزائرية
جمهورية مصر العربية
الحمادة الحمراء
أدهان اوباري
اوباري
سبها
مرزق
أدهان مرزق
غات
جبال أكاكوس
الجبل السوداء
واحة الجفرة
ودان
سوكنة
هون
زلة
الهاروج الأسود
1200
واحة جالو
جالو
اوجلة
جغبوب
سيوة
بحر الرمال العظيم
سرير كلنشيو
واحات الكفرة
بحر رمال ربيانة
ربيانة
الكفرة
العوينات
جبل العوينات
1934
جبل أركنو
1435
جبل نقي
1550
تيبستي
3150
النيجر
تشاد
مدار السرطان
التقسيمات الإدارية للمحافظات
SFARI.COM
www.sfari.com

أولا: في الجزء الشرقي من المنطقة الممتدة بين سرت وطرابلس وهي منطقة مصراتة وتاورغاء، ومنطقة بني وليد، ومنطقة ترهونة، والخمس، وزليتن:

بعد هزيمة الإيطاليين في موقعة القرضابية، قرر المجاهدون ملاحقة الفلول الهاربة من أفراد الحاميات الإيطالية في كل مكان، للثأر لإخوانهم الشهداء في المعارك السابقة، فعمت البلاد ثورة شاملة عرفت بثورة التطهير انتشرت في كل المدن الليبية التي لا زالت تتبع الحكومة الإيطالية والتي أمرت ببقاء الحاميات فيها لتأمين خط الرجعة عليهم إن هزموا أمام المجاهدين، ولكن ذلك لم يثن المجاهدين عن هدفهم في تحرير وتطهير بلادهم من دنس الطليان، مما اضطر الحكومة الإيطالية في طرابلس إلى أن تصدر أمرا بانسحاب كافة الحاميات[٤]، فانسحبت حاميتا غدامس ونالوت واتجهت إلى الساحل، ولم يبق من الحاميات الإيطالية سوى حاميتا زوارة، وجنزور في طرابلس، كما انسحبت حاميتا كل من مزدة وغريان، أما في سرت والتي كانت مسرحا لوقائع معركة القرضابية فقد أصبح للمشتركين فيها شأن كبير، حيث انطلق المجاهدون بعد أن سيطروا على العتاد والغنائم والذخيرة التي خلفها الإيطاليون لكي يكملوا النصر على الأعداء وطردهم من جميع المناطق[٥].

وبالفعل تفجر الموقف في كل مكان وبدأ الحصار في كل منطقة، وهذا ما أخبرنا به تاسوني[٦] في برقيته إلى وزارة المستعمرات بأن قضاء زليتن[٧] وترهونة في حالة تمرد، وأن حاميتهما تدافعان ضد الحركة التمردية بما يتوفر لديهما من قوة محدودة.

كما يضيف تاسوني أيضا بأن بني وليد صارت هي الأخرى محاطة برجال المقاومة لكنهم على بعد كيلو مترات منها[٨].

وبرأي الطاهر الزاوي[٩] فإن الثورة عمت المنطقة الشرقية بأسرها حيث إنه عندما بدأت الثورة في ترهونة كانت ورفلة محاصرة بمن فيها من الطليان[١٠].

وقد حاول زعماؤها الحث على المقاومة وطلب المساعدة من زعيمي غريان وقماطة ويطالبانهما بالانضمام إليهم وبعدم الثقة في الإيطاليين، وكانت الرسالة الأولى بعث بها عبد النبي

---

(٤) صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، مطبوعات معهد البحوث والدراسات، القاهرة، ١٩٧٠، ص٨٢.

(5) Segato,La Italia Nella Guerre Mondiale Milano, 1927, p.122.

(٦) تاسوني، والي طرابلس الغرب في عام ١٩١٥م.

(٧) زليتن: تقع شرق الخمس على مسافة ٣٧كم، ويوجد بها زاوية لتدريس القرآن. الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ١٩٨٨، ص١٧٠.

(٨) نفس المصدر، ص١٥١.

(٩) الطاهر أحمد الزاوي، مؤرخ ليبي وشاهد عيان عاصر فترة الاحتلال الإيطالي وكان له عدة مؤلفات تخدم تاريخ الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي.

(١٠) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص٢٢١.

بالخير وكافة زعماء ورفلة إلى الهادي كعبار[١١]، يطالبونه فيها بالمجئ فور وصول الرسالة إليه وإلا فإنه سوف تكون العاقبة وخيمة.

وكانت الرسالة الثانية قد بعثوا بها إلى محمد بوغالية والذي ترجم فحواها إلى الهادي كعبار مفادها "أن قائم مقام ورفلة ومشايخها يدعونني للانضمام إليهم من أجل الحرب وأن الحرب مندلعة في مصراتة وسرت ومزدة وزليتن وورفلة وترهونة ومسلاتة"[١٢].

ومع هذا فقد استمرت المقاومة من قبل أهالي ورفلة ومن انضم إليهم من المناطق المجاورة، وبعد حصار استمر لمدة ٦٤ يوما انتهى باستسلام القوة الإيطالية في يوم ١٩١٥/٧/٧م[١٣].

أما بخصوص زليتن، فقد أفادتنا برقية تاسوني باندفاع حشود كبيرة من المجاهدين نحو وسط المدينة، ما اضطر الحامية الإيطالية الموجودة بها إلى الانسحاب، كما اشار أيضا بأن الوضع في ترهونة خرج عن سيطرتهم وأنهم اضطروا إلى الانسحاب منها[١٤].

وبذلك اشتدت الأزمة بالإيطاليين في المنطقة الشرقية، خاصة بعد عودة رمضان السويحلي[١٥] بقواته إلى مصراتة، بعد انضمام معظم سكانها إليه فشدد عليها الحصار، أما بالنسبة لترهونة، فقد بدأ الساعدي بن سلطان[١٦]، والمبروك المنتصر الدرهوبي[١٧] يضيقان الحصار على الحاميات، ويفيدنا الزاوي عن ذلك أن حصار ترهونة كان قد بدأ بعد أحداث الإعدام مباشرة وقبل وصول هؤلاء إلى ترهونة[١٨]، الأمر الذي دفع تاسوني إلى إرسال برقية

---

(١١) الهادي كعبار: ولد في مدينة غريان سنة ١٢٩٤هـ وأصله من كولوغلية الشراكسة بالزاوية الغربية، تعلم في المدارس التركية وتقلد عدة وظائف مهمة في حكومة الولاية العثمانية، طرابلس الغرب، وكان من المثقفين، وعندما وقع الغزو الإيطالي سنة ١٩١١ كان في مقدمة الأعيان الذين حثوا على الجهاد وشاركوا في معاركه، وتولى قائمقام غريان في السنوات الأولى من الغزو الإيطالي ١٩١١-١٩١٦، وعندما انسحب الأتراك من ولاية طرابلس الغرب في أكتوبر سنة ١٩١٢ كان الهادي من الفريق الذي استسلم للإيطاليين وعندما قامت ثورة التطهير في مايو ١٩١٥ كان من جنود تلك الثورة، وعندما حصل صلح بنيادم سنة ١٩١٩ انتخب الهادي في هيئة مفاوضاته. الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، المرجع السابق، ص١٧٣.

(١٢) الوثائق الإيطالية، ج١، المصدر السابق، رسالة عبد النبي بالخير وآخرون إلى الهادي كعبار بتاريخ ١٦ مايو ١٩١٥، ص ص١٦٠، ١٦١، ١٦٢.

(١٣) عمر بن محمد المجدوب الزبيدي، نبأ حصار قوة الاستعمار في بني وليد سنة ١٩١٥ مجلة الشهيد، ع١١، م.ج.ل.ط. ١٩٩٠، ص٨٩.

(١٤) الوثائق الإيطالية، ج١، المصدر السابق، برقية تاسوني إلى وزارة المستعمرات والحربية، رقم ٦٨، بتاريخ ٨ مايو ١٩١٥، ص١٥١.

(١٥) رمضان الشتيوي السويحلي، زعم مصراتة، كان له دور مميز في حركة المقاومة، وخضع للإيطاليين، وجند في معركة القرضابية كقائد لمجموعة مصراتة، ثم انقلب على الإيطاليين وتمكن من تكوين حكومة في مصراتة عرفت باسمه استمرت إلى سنة ١٩٢٠، وقد توفي في بني وليد أثر هجوم عليها. الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦١م، ص ص١١٥، ١١٦.

(١٦) الساعدي بن سلطان: أحد المجاهدين الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي، ينتمي لمدينة ترهونة، شارك في عديد من معارك الجهاد.

(١٧) المبروك المنتصر الدرهوبي: أحد مجاهدي مدينة ترهونة، ولد وعاش أغلب حياته فيها، تزعم قبيلة الحمادات وتزعم ربع الدراهيب في ترهونة.

(١٨) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، ص٢٢١.

في ١٢ مايو ١٩١٥ يطالب فيها حكومة إيطاليا بإرسال الكتائب لإنقاذ الموقف هناك، وأفاد عن نجدة المقدم روستي (Rositti) التي توجهت إلى ترهونة لفك حصارها، ولكنه لاقى مقاومة عنيدة من قبل المجاهدين ولم يتمكن من اختراقها، وأضاف في هذه البرقية أنه يستعجل وصول الكتيبة الإريترية صباح الغد لمساندة طابور روستي وتمكينه من تحقيق هدفه في فك الحصار عن ترهونة التي أصبح وضعها السياسي والعسكري متدهورا جدا[١٩].

أما الوضع في غرب ترهونة، فقد تلاحم أهلها في سوق الأحد مع قبيلة الختنة[٢٠] لقطع طريق التموينات الذي يربط العزيزية[٢١] بترهونة، حيث هاجموا قافلة تموين بعد فرار حراسها، ثم قاموا بصد كوكبة فرسان إيطالية فاضطرت للتراجع نحو العزيزية[٢٢].

وقد حاولت فرقة العقيد كاسنيس (Cassinis) إنقاذ حامية ترهونة، فدخلت من الخمس باتجاه ترهونة لمشاغلة المجاهدين في الجزء الغربي وسحبهم إلى الداوون لكي تخرج حامية ترهونة من الحصار المفروض عليها، في حين كان العقيد كاسنيس، الذي أعلن يوم ١٧ يونيو بأن حامية ترهونة ستخرج من معقلها يوم ١٨ يونيو باتجاه طرابلس عن طريق سرت، ولكن تاسوني كان قد نظم حملة من العزيزية في اتجاه ترهونة أسند قيادتها للمقدم مونتي (Monti) بقصد تسهيل انسحاب حامية ترهونة، ولكن حملة كاسنيس ومونتي فشلتا بعد مواجهة عنيفة من قبل المجاهدين[٢٣]. وكانت نتائجها سيئة بالنسبة للإيطاليين الذين فقدوا جميع قواتهم في تلك المناطق من أسير وقتيل، وجاء في مذكرة تاسوني حول الكارثة التي تعرضت لها قواتهم قوله "أبدي أسفي للخسائر التي حلت بالضباط والجنود كما أنا خسرنا قطعتين من سلاح مدافع الجبال، مع كمية قليلة من الذخائر التي كادت أن تستنزف كلها أثناء المعركة"[٢٤].

ويفيدنا سيقاتو Seqato بأن نتيجة المعركة كانت كارثة بالنسبة لقواتهم، وفي رأيه أن معركة "سوق الأحد"[٢٥] فتحت الطريق أمام قوات المجاهدين للتوجه نحو طرابلس التي كانت محاصرة[٢٦].

---

(١٩) الوثائق الإيطالية، ج١، المصدر السابق، برقية تاسوني إلى مارتيني وزوبيللي رقم (٧٢)، بتاريخ ١٢ مايو ١٩١٥، ص١٥٥.

(٢٠) قبيلة الختنة: هي قبيلة ليبية تقطن في ضواحي العاصمة طرابلس تحديداً النواحي الأربعة، منطقة سوق الخميس في اتجاه الجنوب الشرقي من طرابلس.

(٢١) العزيزية: إحدى ضواحي طرابلس، تقع في الجنوب الغربي من العاصمة طرابلس وهي مدينة كانت مركزا مهما من مراكز الحركة الوطنية الأولى، وقد اتخذ منها الأتراك في بداية الغزو الإيطالي مقرا لقيادتهم العامة. خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، ١٩١١-١٩١٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢-١٩٨٥، ص٣٥٨.

(٢٢) الوثائق الإيطالية، المصدر السابق، وثيقة رقم (٨٢) بتاريخ ١٨ مايو ١٩١٥، ص ص١٦٢، ١٦٣.

(23) Segato, op. cit. p.136.

(٢٤) الوثائق الإيطالية، ج١، المصدر السابق، وثيقة رقم ١٢٤ برقية تاسوني إلى مارتيني، بتاريخ ١٨ يونيو ١٩١٥، ص١٩٩.

(٢٥) معركة سوق الأحد: في منطقة ترهونة، دارت هذه العركة أثناء محاولة فك الحصار الذي ضربه المجاهدون على الحامية الإيطالية في ترهونة، حاول خلالها الإيطاليون فك الحصار عنها ولكنهم فشلوا، وقاموا في مايو ١٩١٥ بتوجيه قافلة تموين إيطالية من قواعدهم في العزيزية نحو ترهونة، ولكنها لم تكد تصل سوق الأحد في ١٨ مايو ١٩١٥، حتى شن عليها المجاهدون هجوما عنيفا، وتمكنوا من السيطرة على المؤن والذخائر التي كانت تحملها إلى الحامية. خليفة التليسي، المرجع السابق، ص٢٨٩.

(26) Segato, op. cit. p.137.

هكذا عانت الحاميات الإيطالية من الحصار والتطويق، كما أن الإمداد والتموين والذخيرة كان منقطعا تماما عن منطقة شرق طرابلس، وقد أفادت برقية تاسوني خلال يوم ١١ مايو بأن المتمردين يهددون تاورغاء[٢٧] ومصراتة[٢٨]، التي تسلم القيادة فيها رمضان السويحلي كما أشرنا سابقا، الذي قام بعد عودته من سرت بردة فعل عنيفة ضد عمليات الاعتقال التي قامت بها الحامية الإيطالية هناك، كما قاموا بتقسيم قوات مصراتة إلى قسمين، فريق رابط في "تاورغاء" التي تقع إلى الشرق من مصراتة بخمسين كيلو مترا باعتبارها أولى البلدان التي وصلها السويحلي بعد سرت في طريقه إلى مصراتة، وفريق آخر قام بمحاصرة مصراتة المدينة ليقطعوا طريقها عن مصراتة البحرية (الميناء) فقاموا بالهجوم على طابور إيطالي كان في طريقه إلى مصراتة البحرية، بغرض استقبال قافلة قادمة من مصراتة.

وبذلك ازداد الوضع تدهورا بالنسبة للقوات الإيطالية بسبب المقاومة التي عملت على حصار كل الحاميات الإيطالية، مما اضطر تاسوني إلى إعلان حالة الطوارئ[٢٩].

ففي مصراتة زاد المجاهدون من حصارهم على الحامية الإيطالية، وكانت مصراتة المدينة تشهد ثورة عارمة رغم جهود الإيطاليين في محاولة إقامة الحواجز ومنع القبائل المجاورة من الانضمام للمجاهدين في مصراتة، إلا أن المجاهدين تحصنوا في منطقة الزروق ووقفوا حاجزا منيعا بين مصراتة البحرية والمدينة لمنع وصول الإمدادات الإيطالية من المدافع والعربات من الميناء البحري إلى مصراتة المدينة[٣٠]، فدفعهم ذلك إلى الهجوم على حامية الميناء والاستيلاء على المدافع منه وتوجيه طلقات مدافعهم التي غنموها نحو منطقة الزروق، وأحكموا قبضتهم على طريق مصراتة – تاورغاء، بهدف منع انسحاب حامية تاورغاء نحو مصراتة[٣١].

وهكذا فقد واجه الإيطاليون مقاومة عنيدة وحصارا طويلا حول كل الحاميات الواقعة إلى الشرق من طرابلس، ففي مصراتة تخاذلت القوات الإيطالية في معركة خندق الجمل[٣٢]، وانسحبت قوات المقدم بينكو (Binco) نحو مصراتة، وأخفقت في فك الحصار عن تاورغاء بعد تعرضها لخسائر جسيمة في الأرواح والمعدات[٣٣]، يضاف إلى ذلك انسحاب قوات تاورغاء بقيادة المقدم تيزي (Tizi) نحو مصراتة البحرية بعد إتلاف كل المعدات والمؤونة وضياع الذخيرة في الطريق وغرق بعض أفرادها في سبخة تاورغاء[٣٤].

---

(٢٧) تاورغاء: مدينة تقع في جنوب مصراتة، احتلها الإيطاليون بعد معاهدة لوزان، وأنشأوا بها حامية عسكرية، وعندما اندلعت الثورة الشاملة ضد الطليان، ضرب المجاهدون حولها حصارا في ١٨ مايو ١٩١٥، ولم يتمكنوا من فكه. خليفة التليسي، المرجع السابق، ص١٨٨.

(٢٨) الوثائق الإيطالية، ج١، المصدر السابق، وثيقة رقم ٧١ برقية تاسوني إلى مارتيني، بتاريخ ٩ مايو ١٩١٥، ص١٥٤.

(٢٩) الوثائق الإيطالية،ج١، المصدر السابق، وثيقة رقم ٧٥، برقية تاسوني إلى مارتيني وزوبيللي، بتاريخ ١٣ مايو ١٩١٥، ص١٥٦.

(٣٠) نفس المصدر، ج١، وثيقة رقم ٧٩، برقية تاسوني إلى مارتيني، بتاريخ ١٦ مايو ١٩١٥، ص١٥٩.

(٣١) نفس المصدر، وثيقة رقم ٨٢، المصدر السابق، ص١٦٣.

(٣٢) نفس المصدر، وثيقة رقم ١٠٣، برقية تاسوني إلى مارتيني، بتاريخ ٢٩ مايو ١٩١٥، ص١٨٥.

(٣٣) نفس المصدر، وثيقة رقم ١٠٣، برقية تاسوني إلى مارتيني وزوبيللي، بتاريخ ٣١ مايو ١٩١٥، ص ص١٨٦، ١٨٧.

(34) Segato, op. cit. p.140.

خليفة محمد التليسي، بعد القرضابية، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ١٩٧٦، ص٢٨.

وبعد القضاء على قوة الإيطاليين في تاورغاء توجه رمضان السويحلي ومعه المجاهدون نحو مصراتة وحاصروها في يوم ١٨ مايو ١٩١٥ عند موقع شرقي المدينة يسمى كرزار، ثم حاصر منطقة المواطين من جميع الجهات، وكان الإيطاليون قد بدأوا فتح طريق وسط هذا الحصار يوصلهم إلى ميناء "قصر أحمد"[٣٥] التي رست فيه بوارجهم منذ وصولها إلى مصراتة لاحتلالها في أول مرة، ودارت بين المجاهدين والإيطاليين في أثناء الخروج من مصراتة ثلاث معارك[٣٦].

معركة رأس الطوبة والتي دارت يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من مايو عام ١٩١٥، وسقط فيها عدد من الشهداء من بينهم عمر شقلوف السويحلي، من نفس عائلة رمضان.

معركة سبخة بوفار، هزم المجاهدون فيها الإيطاليين وكبدوهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وأسروا أعدادا منهم واعتبر المجاهدون هذا النصر انتقاما من معركة رأس الطوبة.

معركة جرف المقاصبة[٣٧]، التي وقعت شرقي المواطين، وكانت حكومة الولاية بطرابلس قد أنذرت الجنود بالهروب إلى السفن الراسية في الميناء ففر الجنود إلى الميناء ولم يبق جندي إيطالي واحد بمصراتة غير الأسرى في يوم ٥ أغسطس عام ١٩١٥، حيث إنهم لم يعودوا إليها إلا في إعادة الغزو عام ١٩٢٢م[٣٨].

ثانياً: الثورة في الجبل الغربي:

١) منطقة جنوب وغربي الجبل: غدامس، سيناون، نالوت، كباو، الجوش، مساطو:

بعد اندلاع الثورة في الجنوب والقبلة[٣٩] امتد أثرها إلى الجبل الغربي حيث التف الناس حول شخصية مهمة وهو خليفة بن عسكر[٤٠] الذي كان يعد لهذه الثورة منذ عام ١٩١٤ في نفس التوقيت الذي قامت فيه الثورة على الطليان في الجنوب للتخلص من الاحتلال الإيطالي منتهزا فرصة انشغال الإيطاليين في الحرب العالمية الأولى، وكان الإيطاليون قد وضعوا أيديهم على ممتلكات سكان الجبل، فاستولوا على مزارعهم وسيطروا على تجارتهم واغتصبوا مساكنهم، وأصبح سكان الجبل الغربي مواطنين من الدرجة الثانية يعملون أجراء عند الإيطاليين،

---

(٣٥) قصر أحمد: يقع على ساحل مصراتة البحرية، وقد كان هذا الموقع مسرحا لكثير من العمليات الحربية، واتخذه الإيطاليون قاعدة بحرية، انتقلوا منه لاحتلال مصراتة يوم ٨ يوليو ١٩١٢. خليفة التليسي، معجم معارك الجهاد، ص٤١٧.

(٣٦) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد، ص٣٤.

(٣٧) المقاصبة: موقع بمصراتة يعرف باسم قبيلة المقاصبة.

(٣٨) محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي البطل الشهير بكفاحه للطليان، دار الفرجاني، طرابلس، ١٩٨٨، ص٩٤.

(٣٩) القبلة منطقة صحراوية مترامية الأطراف يحدها من طرفها الشمالي جنوب غريان على بعد ٧٥ كيلو متراً باتجاه مزدة، وتعتبر الأخيرة كما أطلق عليها الإيطاليون بوابة القبلة، وفي شمال مزدة تقع فزان، وتليها واحات القريات والشويرف والزنتان والمقارحة وأولاد أبو سيف. للمزيد أحمد عطية مدلل، التدخل الأجنبي في ليبيا (١٨٨١-١٩١٥)، ج١، م.ج.ل.ط، ٢٠٠٧، ص ص٤٨٧-٤٨٨.

(٤٠) خليفة بن عسكر من نالوت، وهي مدينة فوق الجبل الغربي تبعد عن طرابلس مسافة ٣٠٠كم باتجاه الجنوب الغربي، كان خليفة بن عسكر أحد قادة المقاومة الوطنية ضد الغزو الإيطالي، واجه الإيطاليين في عدة معارك، كان أولها في لقن عمران ١٩١٤، وعركة كباو في سنة ١٩١٩، ثم خضع للإيطاليين بتحريض من أتباعه فلما استسلم قبض عليه ونفذ فيه حكم الإعدام في شهر يونيو ١٩٢٣. محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر، الثورة والاستسلام، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٣، ص ص١٩٤-١٩٦.

واستخدموهم جنودا في جيشهم، وحرموهم الحرية، فلم يعد أحد يستطيع الخروج أو الدخول لنالوت إلا بإذنهم.

وبذلك اندلعت الثورة في الجبل يقودها خليفة بن عسكر، بعد أن جمع حوله عددا من المواطنين، خرجوا من نالوت وهاجموا الطليان في معارك طاحنة استمرت لمدة طويلة بأراضي وسيناون، ودرج، ورملة مززم، وكبد الطليان في أثناء صراعه معهم أفدح الخسائر في الأرواح والأسرى وغنم منهم كميات ضخمة من الذخائر والأسلحة، وقطع الاتصال بينهم في فزان وبين غدامس التي كانت مسلكا لهروبهم إلى تونس[٤١].

وقد تمكن خليفة بن عسكر وأتباعه من محاصرة سيناون في ٥ يونيو، واستمر حصارها لمدة خمسة أيام، وفي ليلة ١٠ حاول جنود الحامية الهروب تحت جنح الظلام، فتتبع المجاهدون أثرهم وطاردوا جالياني (Goliani) وأتباعه حتى الحدود التونسية، وعندها وجدوا المساعدة من مجموعة من المجندين التونسيين في الجيش الفرنسي، مما اضطر المجاهدين لوقف القتال بعد أن كبدوا الإيطاليين خسائر فادحة تمثلت في مقتل خمسين عسكريا إريتريا بالإضافة إلى عدد كبير من المفقودين والجرحى[٤٢].

وهكذا تمكن خليفة بن عسكر ومقاتلوه في ٢٣ من يونيو من احتلال موقع أولاد محمود الذي يقع شمال سيناون بحوالي مائة كيلو متر، وهجموا على مركز الشرطة وأسروا من كان فيه[٤٣]، وبعدها انقسم المجاهدون إلى مجموعتين توجهت الأولى بقيادة خليفة بن عسكر لمحاصرة نالوت، فيما سارت الثانية بقيادة أبي القاسم خشيبة نحو كباو وانضمت إليها أعداد كبيرة من قبائل الحوامد والمجابرة وما أن وصل المجاهدون إلى كباو حتى انضم إليهم جميع سكانها. وحسب برقية تاسوني، فإن قوة المجاهدين بلغ عددها قرابة الخمسمائة مسلح قامت بهجوم ساحق على حامية كباو في يوم ٢٦ يونيو، واستمر الهجوم من الساعة السادسة صباحا حتى السابعة مساء وهي الساعة التي اقتحم فيها المجاهدون الحامية الإيطالية وألحقوا بها خسائر جسيمة[٤٤].

استمرت المشاكل بالنسبة للحاميات الإيطالية في كل أجزاء منطقة غرب الجبل، مما أدى إلى فقدان معظم جنودها بسبب انضمام الأهالي للمجاهدين، فشعر الفرنسيون بالخطر وتخوفوا من تضامن سكان الجنوب التونسي مع المجاهدين الليبيين، وأن يحذوا حذوهم في الثورة ضد الحاميات الفرنسية الحدودية وهذا ما أكده تاسوني في برقيته إلى وزارة المستعمرات[٤٥].

وفي هذا الإطار قام المقيم العام الفرنسي السيد الإبوتيت Elapoteet في أواخر عام ١٩١٥ بجولة في الجنوب التونسي في محاولة لإعادة الثقة في السلطة الفرنسية، ولكسب ولاء

---

(٤١) محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨، ص١٦٠.

(٤٢) الوثائق الإيطالية، ج١، المصدر السابق، وثيقة رقم ٣٣٥، برقية كاتشا Caccia القنصل الإيطالي في تونس إلى مارتيني، بتاريخ ١٤ يونيو ١٩١٥، ص٦٩٧.

(٤٣) نفس المصدر، وثيقة رقم ١٣٩، برقية تاسوني إلى مارتيني وزوبيللي، بتاريخ ٢٤ يونيو ١٩١٥، ص٢٠٨.

(٤٤) الوثائق الإيطالية، ج١، المصدر السابق، وثيقة رقم ١٥١، برقية تاسوني إلى مارتيني بتاريخ ٢٨ يونيو ١٩١٥، ص ص٢١٦، ٢١٧.

(٤٥) نفس المصدر، وثيقة رقم ١٦٢، بتاريخ ٢ يونيو ١٩١٥، ص ص٢٢٤، ٢٢٥.

الرؤساء والقبائل والأهالي ومحاولة استخدامهم ضد المجاهدين من أعداء السلطة الذين اتخذوا من عام ١٩١٦ الأراضي الليبية ملجأ لهم ونقاطاً للهجوم على المراكز الفرنسية داخل الأراضي التونسية، وقد كانت إغراءات السلطة الفرنسية للعناصر الخاضعة أحد العوامل التي أسهمت في إضعاف الثورة في الجنوب، فقد ضاعفت أجور سائقي الجمال المستخدمة في القوافل العسكرية، وحاولت شراء سكوت الأهالي بتوزيع الأقوات والشعير عليهم، في وقت كانت المنطقة تمر بحالة جفاف شديد ومجاعات لتقلل من تنقل القبائل ووضعها قرب المراكز الحكومية وتحت المراقبة الدقيقة، ولدفع الثوار إلى العودة للأراضي التونسية وتسليم أنفسهم لسلطات الحماية، ولكن الثوار التونسيين المقيمين داخل الأراضي الليبية تحالفوا مع إخوانهم في جبل نفوسة والحوامد، ونظموا أنفسهم في مجموعات قتالية اشتبكت مع القوات الفرنسية في عدة معارك[٤٦].

وكانت كل الحاميات الإيطالية في الجبل تلاقي نفس النهاية المأساوية كما في البرقية السابقة فيخبرنا تاسوني عن إحدى تلك البرقيات التي تفيد بتردي الوضع في فساطو[٤٧] والجوش[٤٨] وانضمام أهالي الحرابة للمقاتلين، كما زحف حوالي خمسمائة مقاتل على الحوامد وعلى منافد الجفارة، وفيها تحرك المجاهدون يعتقلون الأعيان ويحرضون الأهالي على المقاومة[٤٩].

وكان كل ما يريده خليفة بن عسكر هو محاصرة حامية نالوت التي ينتسب إليها، وكان هو وجماعته في حالة استعداد لمهاجمتها بعد أن صدر لها أمر الانسحاب، وفي طريقها لمركز الذهيبات الفرنسي كأقرب ملجأ لها[٥٠]، تمت مهاجمتها في قصر تكوت[٥١]، ولم ينج منهم سوى عدد قليل وصلوا إلى الذهيبات سيرا على الأقدام، بينما العدد الأكبر منها قتل وأسر، وذلك ما أكده تاسوني في برقيته[٥٢].

وعلى نفس الوتيرة كانت حاميات الجوش وفساطو والباقون من حاميتي كباو والحرابة قد تجمعوا في آبار شكشوك[٥٣] للانسحاب نحو زوارة، ونظرا لبعد المسافة وشدة الحر في سهل الجفارة، ورغم صعوبة المسيرة ونقص المياه فإن المجاهدين لم يتركوا لهم فرصة للنجاة فلاحقهم المجاهدون العالمون بطرق أراضيهم وخباياها فتشتت شملهم بعد أن تم القضاء على معظمهم بالعطش، وفرار ضباطهم على صهوات جيادهم تاركين جنودهم خلفهم ليلاقوا مصيرهم المحتوم[٥٤]، كما أفادنا سيقاتو في هذا الصدد عن تلك الظروف الصعبة التي حلت بقواتهم، وترك الضباط للجنود وحدهم بدون قيادة، مما اضطر معظمهم للهروب نحو الساحل ولكنهم فقدوا جميع

(٤٦) محمد المرزوقي، دماء على الحدود، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٧٥، ص٧٨.

(٤٧) فساطو: مدينة بالجبل الغربي جنوب غرب طرابلس.

(٤٨) الجوش، وتعرف أيضا بالعين الجديدة تقع بالجبل الغربي جنوب طرابلس الغرب. خليفة التليسي، المرجع السابق، ص٢٠٥.

(٤٩) الوثائق الإيطالية، ح١، وثيقة رقم ١٦٧، برقية تاسوني إلى مارتيني وزوبيللي، بتاريخ ٤ يوليو ١٩١٥، ص٢٣٠.

(٥٠) نفس المصدر، وثيقة رقم ٩٨، برقية تاسوني إلى وزير المستعمرات والحربية، بتاريخ ٩ يوليو ١٩١٥، ص٤٥٣.

(٥١) تكوت: موقع قرب نالوت.

(٥٢) الوثائق الإيطالية، ج١، المصدر السابق، وثيقة رقم ٥٩، ص٤٥٧.

(٥٣) شكشوك: موقع بالجبل الغربي.

(٥٤) الوثائق الإيطالية، مجموعة ٦، إعداد خليفة محمد الدويبي إبراهيم، م.ج.ل.ط. ١٩٩٠، وثيقة رقم ٥٩، برقية تاسوني إلى وزارة المستعمرات، ص٩٥٧.

الإمدادات من مؤن وذخائر، وغيرها، فوصل من وصل منهم إلى زوارة في ١٠ يوليو ١٩١٥، ومنها أرسلت النجدة والإسعافات لإنقاذ ما يمكن إنقاذه(٥٥).

٢) منطقة جنوب شرق الجبل: وادي غات، غريان(٥٦)، الريابنة، مزدة، الرابطة، بئر الغنم، الزنتان، يفرن:

أما في شرق الجبل وجنوبه فقد احتشدت المقاومة للقضاء على الحاميات الإيطالية، فتوجه المجاهدون نحو وادي غان في جنوب شرق غريان، ومحاصرته وقاموا بدعوة السكان للانضمام إليهم(٥٧)، وقد قام محمد سوف(٥٨) – على رأس مئة مسلح بتدعيم قوة المجاهدين في جنوب شرق غريان، وقد اتخذ من قماطة مركزا لقواته ومنها بدأ يستعد لمباغتة الحاميات الإيطالية بغريان، وهذا بدوره أدى إلى ازدياد قوات المجاهدين، الذين اشتبكوا مع طابور العقيد نيقرا (Nigra) في بني كور وانتهى الاشتباك بانسحاب الحامية الإيطالية نحو غريان بعد خسارتهم(٥٩).

كذلك شن المجاهدون هجوما على الرياينة ليلة ١١ من يونيو ١٩١٥ نتج عنه أخذ السلاح من كافة الجند فيها، ولم تكن هذه الهجمات الصغيرة سوى بداية لهجوم شامل ينوي المجاهدون تنفيذه لضرب كل الحاميات الإيطالية في الجبل الغربي(٦٠).

أمام تلك التطورات، اضطر الإيطاليون إلى الجلاء عن مزدة(٦١)، لكن الأمور لم تسر كما يشاؤون، لأن المجاهدين اعترضوا طريقهم في خرمة بوغرة(٦٢) يوم ١٨ من يونيو ١٩١٥، ولكن رغم ذلك، فقد واصلت قوات المقدم نيقرا انسحابها إلى غريان بعد أن واجهت صعوبة في اجتياز الطريق(٦٣).

---

(55) Segato, op. cit. p.139.

(٥٦) غريان: مدينة غريان أكبر مدينة في الجبل الغربي، ويوجد بها تجمع سكاني كبير، تبعد عن طرابلس مسافة ٨٨كم جنوباً. الطاهر الزاوي، معجم البلدان، ص٢٤٤.

(٥٧) الوثائق الإيطالية، مج٦، وثيقة رقم ٨٠، رسالة الهادي كعبار إلى المقيم في غريان، بتاريخ ١٦ مايو ١٩١٥، ص١٦٠.

(٥٨) محمد سوف المحمودي: ابن الشيخ محمد اللافي المحمودي وحفيد غومة بن خليفة، ولد بوادي سوف في الجزائر ١٢٧٤هـ، أثناء هجرة جده، حارب الطليان من البداية وحتى معركة جندوبة سنة ١٩١٣، بعدها ذهب إلى الشام. الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، المرجع السابق، ص٧٦.

(٥٩) نفس المصدر، وثيقة رقم ١١٥، برقية تاسوني إلى وزارتي المستعمرات والحربية، بتاريخ ١١ يونيو ١٩١٥، ص١٩٢.

(٦٠) نفس المصدر، وثيقة رقم ١٢٣، برقية تاسوني إلى وزارتي المستعمرات والحربية، بتاريخ ١٦ يونيو ١٩١٥، ص١٩٨.

(٦١) مزدة: بلدة تقع جنوب غريان، مسافة ٨٥كم، وفيها زاوية معروفة عرفت بزاوية السني بنيت منذ عام ١٢٦٠. الطاهر الزاوي، معجم البلدان، ص٢١١.

(٦٢) خرمة بوعرة: موقع قرب مزدة، وقد شهد هذا الموقع معركتين مهمتين، وقعت الأولى في ١٨ يونيو ١٩١٥ أرغمت فيها الحامية الإيطالية على الانسحاب إلى الشاطئ أثناء انتشار الثورة الشاملة ضد الاستعمار الإيطالي. أما المعركة الثانية فهي تدخل في نطاق العمليات العسكرية التي جرت جنوبي طرابلس سنة ١٩٢٨ لاحتلال القريات، المناطق المجاورة لمزدة. خليفة التليسي، المرجع السابق، ص٢١٩.

(٦٣) الوثائق الإيطالية، ج(١)، المصدر السابق، وثيقة رقم ١٢٧، برقية تاسوني إلى وزارتي المستعمرات والحربية، بتاريخ ١٢ يونيو ١٩١٥، ص٢٠٢.

ومن ناحية أخرى تطورت المقاومة وازدادت نشاطا في شمال غريان، فاعترض المجاهدون قوافل الإمداد الإيطالية في كل من الرابطة[٦٤] وسيدي الشامس[٦٥] وبئر الغنم[٦٦]، كما قاموا بالهجوم على فندق الشيباني[٦٧] ومنطقة غريان، وكردة فعل حاول الإيطاليون تطويق المجاهدين في منطقة القواسم[٦٨] التي كانت نقطة انطلاق المجاهدين لمهاجمة سيدي الشامس والقواسم، ولكنهم فشلوا في تحقيق النصر[٦٩].

وبعد فشل الإيطاليين في تشتيت صفوف القبائل وإنهاء تحالفها، وأمام إصرار المقاومة على الحرب، قرر الإيطاليون الانسحاب نحو العزيزية وطرابلس بدون مقاومة تذكر، ومثلها كانت حامية يفرن التي انسحبت نحو بئر الغنم ومنه إلى العجيلات.

واستمرت مهاجمة المجاهدين للحاميات الإيطالية، ففي الرياينة تمت مهاجمة الوحدات التي أرسلت إليها، وفي الزنتان تعاونت قوات المجاهدين لإحكام الحصار على حاميتها وهذا ما أكده تاسوني بخصوص الأحوال في الزنتان[٧٠]، لأن الخطر يداهمها من كل ناحية رغم التحصينات التي أقامتها الحامية حول نفسها، فقد هوجمت في يوم ٣ من شهر يونيو ١٩١٥ محلة المهدي السني بقوة ٦٠٠ مجاهد تقريبا، واستمر الهجوم حتى يوم ٥ يونيو بوصول التعزيزات، واستطاعوا الوصول إلى الأسلاك الشائكة وحاولوا قطعها، مما أدى إلى انسحاب الكتيبة الثامنة الإريترية[٧١].

ثالثاً: منطقة غرب طرابلس وجنوبها:

بعد انسحاب القوات من الجبل الغربي متجهة نحو طرابلس لتبدأ مرحلة جديدة من المقاومة استلمها رجال المقاومة في جنوب طرابلس عندما قاموا باعتراض طريقهم، وحسب برقية تاسوني، إن اجتماعا عقد في يوم ٢٠ يونيو ١٩١٥ بالقرب من سيدي السائح[٧٢] حضره مجموعة من شيوخ القبائل من قبائل بوعيشة والرقيعات والختنة وعلاونة وترهونة[٧٣]، ونتج عن

---

(٦٤) الرابطة: مدينة تقع في الجبل الغربي تبعد عن طرابلس ٦٠ كم تقريباً.

(٦٥) سيدي الشامس: تقع بغريان، وقد شن المجاهدون حملة هجومية واسعة لتطهير البلاد من الوجود الإيطالي وحصره في بعض المواقع الساحلية. خليفة التليسي، المرجع السابق، ص٣٠٩.

(٦٦) بئر الغنم: تقع جنوب غرب طرابلس وتبعد عنها حوالي ٤٥كم.

(٦٧) فندق الشيباني: يقع في غريان، جرت فيه العديد من المعارك لصد زحف الحملات الإيطالية على الجبل الغربي. خليفة التليسي، نفس المرجع، ص٣٩٧.

(٦٨) القواسم: منطقة تقع شمال غريان، حيث قام المجاهدون في يومي ١٩ يونيو و١ يوليو ١٩١٥ بمهاجمة الحامية الإيطالية التي أرغمت فيما بعد إلى الانسحاب إلى العزيزية. خليفة التليسي، المرجع السابق، ص٤٣٦.

(٦٩) الوثائق الإيطالية، ج١، وثيقة رقم ١٦٢، برقية تاسوني إلى مارتيني وزوبيللي، بتاريخ ٢ يوليو ١٩١٥، ص٢٢٥.

(٧٠) الوثائق الإيطالية، مج٦، وثيقة رقم ٣٥، برقية تاسوني إلى وزارتي المستعمرات والحربية، بتاريخ ٥ يوليو ١٩١٥، ص٤٤٧، ٤٤٨.

(٧١) برقية تاسوني، رقم ٩٨، مج٦، المصدر السابق، ص٤٥٣.

(٧٢) سيدي السايح: تقع بضواحي طرابلس من جهة الجنوب الشرقي.

(٧٣) الوثائق الإيطالية،ج١، المصدر السابق، وثيقة رقم ١٤١، برقية تاسوني إلى وزارتي المستعمرات والحربية، بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩١٥، ص٢٠٩.

هذا الاجتماع مهاجمة فندق بن غشير[٧٤] والعزيزية، مما يعني قطع السكة الحديدية بين الساحل وبعض حاميات الجبل كما أن نشاط حركة المقاومة امتد حتى بئر الغنم والزاوية الغربية[٧٥].

كذلك قام عدد من المجاهدين بمهاجمة واحة النجيلة[٧٦] قرب جنزور، كما أن رجال المقاومة زحفوا من المناطق التي تم تحريرها من ترهونة والختنة والرقيعات وأبو عيشة صوب منطقة بن غشير والعزيزية وسواني بنيادم[٧٧].

قام المجاهدون في ٤ من يوليو ١٩١٥ بالثورة وضربوا حصارا على مقر الحامية الإيطالية في بن غشير، وقد بعث الإيطاليون نجدات عسكرية كانت موجودة في سواني بنيادم لفك حصارهم، ودارت معركة كبيرة خسرت فيها القوات الإيطالية وانسحبت إلى طرابلس[٧٨].

وعند اشتداد الضربات على الحاميات الإيطالية اضطرت إلى ترك مواقعهم في كل من العزيزية وسواني بنيادم وفندق بن غشير، وهذا ما يؤكده سيقاتو بقوله: في يوم ١٦ يوليو ١٩١٥ انسحبت حامية العزيزية، ومكثت في بئر الميامين، وبعد انضمام قوة الحامية إلى صفوفهم واصل الفيلقان انسحابهما معا إلى سواني بنيادم بأمان، إلا أنها أخلت مواقعها بهذه المنطقة لتعسكر في قرقارش[٧٩] [٨٠].

وكان الحال نفسه في غرب طرابلس كما في جنوبها، فقد شعر الإيطاليون بأن القبائل ترفض وجودهم، فقرروا ترك الزاوية والاتجاه نحو طرابلس في ١٦ يوليو ١٩١٥ وهو نفس اليوم الذي انسحبت فيه حامية العزيزية، وفي هذا الشأن وصلت إفادة قائد فرقة الحامية فيها الملازم سبادا (Spada) بأنه استلم أمرا يوم ١٦ يوليو بمغادرة الحامية مع فرقته وموظفي محطة صرمان[٨١]، ومباشرة تم انسحابهم نحو طرابلس بعد تدمير الكثير من معداتهم العسكرية[٨٢].

وفي نفس الوقت تقريبا، أصدر قائد الكتيبة الإريترية الثامنة أوامره بانسحاب جنود

---

(٧٤) فندق بن غشير: هي مدينة يغلب عليها الطابع الزراعي، تقع جنوب طرابلس، وتبعد عن العاصمة ١٠كم تقريباً.

(75) Segato, op. cit. p.140.

(٧٦) النجيلة: منطقة بسواني بني آدم، بضواحي طرابلس من جهة الجنوب الغربي، حيث وقع صدام مسلح بين المجاهدين والقوات الإيطالية في أنجيلة ١٠ سبتمبر ١٩١٧. خليفة التليسي، المرجع السابق، ص١١٥.

(٧٧) سواني بني آدم: بضواحي مدينة طرابلس من جهة الجنوب الغربي، يرتبط ذكر هذا الموقع بكثير من الوقائع والأحداث الحربية والسياسية التي اتصلت بحركة الجهاد، فقد كانت مركزا لتجمع المجاهدين في الدفاع عن طرابلس، إبان الغزو الأول، كما كان قاعدة لكثير من العمليات العسكرية التي جرت خلال هذه الفترة (١٩١١-١٩١٩)، وقد عقدت به الاجتماعات والمؤتمرات الوطنية، وتم فيه أيضا الاتفاق المعروف بصلح بني آدم. خليفة التليسي، المرجع السابق، ص ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٧٨) خليفة التليسي، معجم معارك الجهاد، المرجع السابق، ص٣٩٦.

(٧٩) قرقارش: تقع على بعد ٤كم غربي مدينة طرابلس، وقد حرص الإيطاليون على احتلال هذا المكان لتأمين استخراج الصخور من محاجر قرقارش لاستخدامها في بناء المنشآت العسكرية وأعمال الميناء، وقد تعرضت القوات الإيطالية العاملة في هذه المنطقة إلى غارات مستمرة من المجاهدين. خليفة التليسي، المرجع السابق، ص٤١١.

(80) Segato, op. cit. p.140.

(٨١) صرمان: مدينة ساحلية تقع غرب العاصمة طرابلس وتبعد عن العاصمة حوالي ٥٠ كم تقريباً.

(٨٢) الوثائق الإيطالية، مج٦، المصدر السابق، تقرير رقم ٥/٤١١، تقرير الملازم سبادا، قائد فرقة شرطة الزاوية، إلى قيادة فرقة شرطة طرابلس بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩١٥، ص٤٩٣.

حامية العجيلات[٨٣] البالغ عددهم ١٤٤٠ جنديا والاتجاه نحو زوارة[٨٤]، وكان ذلك يوم ١٦ يوليو ١٩١٥ بعد أن أخذوا معهم ٣٥ رجلا من المعتقلين السياسيين كرهائن، ومع أنهم لم يواجهوا مقاومة أثناء انسحابهم، فقد هرب عدد منهم في جنح الظلام[٨٥].

بينما يؤكد لنا سيقاتو بأن حامية زوارة كانت آخر الحاميات في المنطقة الغربية التي صدر إليها أمر الانسحاب نحو مينائها البحري يوم ٢١ يوليو ١٩١٥ ومنه إلى طرابلس[٨٦].

وبانقضاء شهر يوليو من عام ١٩١٥ انكمشت القوات الإيطالية إلى مخابئها بمدينتي طرابلس والخمس. وبسبب هذه الأوضاع السيئة التي تمر بها الحاميات الإيطالية، قرر الأتراك إمكانية الاستفادة منها لخدمة المجهود الحربي، فأخذوا على عاتقهم نصرة القضية الطرابلسية ومساعدتهم لتحرير بلادهم، وكان هذا الأمر مقبولا عند الطرفين، فقد تكون له نتائج إيجابية على حركة الجهاد، فبادروا بدراسة الوضع عن قرب واتصلوا ببعض زعماء طرابلس الموجودين في تركيا، فأرسلوا يحيى الباروني لدراسة أوضاع طرابلس، والذي سافر في غواصة أنزلته إلى منطقة أبو رتمة، جنوب مصراتة يوم ٨ يوليو عام ١٩١٦م[٨٧]. وفور وصوله اتصل بزعيمها رمضان السويحلي وأعلمه بمهمته التي رحب بها السويحلي، بعدها رجع يحيى الباروني إلى الاستانة وأوضح لحكومته حقيقة ما شاهده في طرابلس من إصرار أهلها على محاربة الإيطاليين وتحرير بلادهم، وهكذا بينت رحلة يحيى الباروني ما كان يحدث في طرابلس من جهود لقتال الإيطاليين[٨٨]، وخاصة بعد تحرير معظم الأراضي وغنم المجاهدون سلاحا وذخيرة لا حصر لهما، مما ساعد في رفع معنوياتهم بشكل أثار الجميع على الإيطاليين وأعوانهم، وكان هدف الأتراك من الاتصال بالطرابلسيين هو إشعال الثورة ضد الإنجليز والطليان واستئنافها في برقة، وذلك لخدمة مصالح ألمانيا وتركيا خلال الحرب العالمية الأولى[٨٩].

وفي هذا الصدد أصدر الأتراك مرسوما سلطانيا من السلطان محمد رشاد يقضي بإلحاق طرابلس بتركيا، وتعيين سليمان الباروني واليا عليها[٩٠]، وأرسلته في غواصة وزودته بملابس ورتب ونياشين وآلات حربية وهدايا لزعماء طرابلس[٩١].

وعند وصول سليمان الباروني إلى مصراتة يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٩١٦، أرسل كتابا إلى رئيس المجاهدين بالعزيزية الشيخ محمد سوف يخبره فيها بتوليه الولاية في طرابلس وبوصوله إلى مدينة مصراتة التي استقبلته بالابتهاج والسرور، كما استقبل الطرابلسيون خبر تعيين سليمان

---

(٨٣) العجيلات: تقع بعد صرمان وصبراتة باتجاه الغرب من العاصمة طرابلس وتبعد عنها ٧٠ كم تقريباً.

(٨٤) زوارة: مدينة يوجد بها ميناء قديم على البحر، يقع إلى الغرب من مدينة صبراتة الأثرية، وتقع على الحدود الليبية التونسية. الطاهر الزاوي، معجم البلدان، ص١٧٦.

(٨٥) الوثائق الإيطالية، مج٦، المصدر السابق، تقرير توسكيني Tosquinii قائد فرقة الشرطة الملكية بالزاوية، إلى قيادة فرقة طرابلس بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩١٥، ص٤٩٧.

(86) Segato, op. cit. p.141.

(٨٧) الطاهر الزاوي،جهاد الليبيين في ديار الهجرة، دار الفرجاني، طرابلس، ١٩٧٦، ص٢٩٣.

(٨٨) نفس المرجع، ص٢٩٤.

(٨٩) مسعود فيشكة، رمضان السويحلي، المرجع السابق، ص١٢٤.

(٩٠) سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد، جمع وترتيب زعيمة الباروني، بيروت، ١٩٦٨، ص ص٢٣، ٢٤.

(٩١) جميل العارف، مذكرات عبد الرحمن عزام، ج١، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٧، ص١٥٢.

الباروني استقبالاً حافلاً وأقاموا بحضرته احتفالا كبيرا برهنوا فيه على امتنانهم لدولة الخلافة التي ما زالت تقدر أعمال رجالهم وتكافئهم على إخلاصهم في تنفيذ المهام الموكلة إليهم[٩٢].

وكانت عثمنة طرابلس بالكامل وإطاعة الجميع للدولة والسلطان من أهم الأعمال التي قام بها سليمان الباروني فور وصوله إلى مصراتة وليس هذا فحسب بل عمل على إنهاء المشاكل والخلافات التي كانت ناشبة بين زعماء وشيوخ طرابلس[٩٣]، كما عمل على فض التنافس الذي كان بين رمضان السويحلي والسنوسيين[٩٤]،على التعريف بالقضية الطرابلسية وحقها في العدالة وتحرير البلاد، ثم قام بتحسين الأحوال الاقتصادية في البلاد لدعم حرب التحرير التي يقودها المجاهدون.

بعد ذلك توجه الباروني إلى غرب طرابلس واتخذ من الزاوية الغربية عاصمة لإدارته الجديدة، وذلك لتوسطها بين الجبل الغربي والشمال والجنوب الشرقي، وأنشأ حكومة رمزية في تطبيقها اعتمدت في قيامها على تنظيم الأعمال الجهادية بمزيج من الأساليب التركية والقبلية وهذا لا يدل على أن الباروني كان يمارس أعمال الوالي العثماني[٩٥].

والجدير بالذكر أن إيطاليا حولت أغلب مجهودها الحربي إلى أوروبا بسبب الحرب العالمية الأولى التي كانت قد تطلبت منها مشاركة فعالة بقوات عسكرية وإمكانيات بشرية ومادية، فلم تكن طرابلس والخمس والعجيلات لها نشاط عسكري خلال السنوات الأولى من الحرب العالمية الأولى، إلا بعض المعارك التي وقعت خلال سبتمبر ١٩١٧ غرب طرابلس في مناطق جنزور والطوبية، ولكن مع هذا فقد عم السكون في جبهة طرابلس والخمس، وذلك بسبب السياسة التي اتبعها أغلب الزعماء حيث اعتبر كل زعيم نفسه مسئولا عن منطقته فإذا كانت خالية من الإيطاليين فذلك هدفه وغايته، مما يعني أن تعدد الزعماء واختلاف آرائهم كان سببا في انتشار السلام في تلك المناطق.

ولما كان كل زعيم يخاف على منطقته من الإيطاليين فوجب عليه أن تكون أغلب قواته موجودة في المنطقة خوفا من تعرضهم للغزو والاجتياح.

أما منطقة العجيلات فقد دارت بها العديد من المعارك ضد الوجود الإيطالي وخاصة في زوارة ويرجع سبب اشتعال الحرب في تلك المناطق إلى أن سكان المنطقة الغربية من أغلب المؤيدين للباروني باعتباره ابن المنطقة ومن ثم انضموا له وقاموا بشن المعارك ضد العدو الإيطالي، كما كان لبعد طرابلس عن زوارة، وسيطرة المجاهدين على المنطقة الفاصلة بينهما، دور كبير في اشتعال المعارك، كما أن قرب زوارة من الحدود التونسية سهل عليها التزود

---

(٩٢) أبو القاسم الباروني، حياة سليمان الباروني، مكتبة الحلبي، القاهرة، ١٣٦٧هـ، ص٧٣.

(٩٣) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، ص٢٩٨.

(٩٤) أبو القاسم الباروني، المرجع السابق، ص ص٧٥-٧٧.

(٩٥) محمد مسعود فشيكة، المرجع السابق، ص ص١٣٣، ١٥٤.

وتوفير ما تحتاجه من مؤونة وسلاح، كما ساعد دخول العديد من التونسيين وانخراطهم في الحرب إلى جانب المجاهدين من ازدياد قوة هذه الجبهة وشجعها على مواصلة القتال(٩٦).

ولم تقع أحداث مهمة في أواخر سنة ١٩١٧ وبداية سنة ١٩١٨ واكتفى المجاهدون بمضايقة المواقع الإيطالية وتجميد تحركاتها، وفي سبتمبر ١٩١٨ حاولت القوة الإيطالية المرابطة بزوارة الخروج عن هذا الوضع المتجمد وقررت الزحف على مواقع المجاهدين في قصر تليل حيث نشبت معركة هناك في ٢٣ سبتمبر ١٩١٨ وكان أهم أسبابها شعور القوات الإيطالية بالخطر على مناطق احتلالها في الجهات الغربية من طرابلس الغرب، نتيجة تجمع حشد كبير من المجاهدين في قصر تليل يقدر بحوالي ٥٠٠ من المشاة و٥٠ من الفرسان، فأعدت حملة كبيرة بقيادة الكولونيل متزتي (Mezzetti) خرجت من زوارة في تشكيلين، الأول بمحاذاة الساحل، والثاني أكثر توغلا نحو الداخل، أي نحو العجيلان، وذلك لمباغتة مواقع المجاهدين من الخلف، ودارت معركة عنيفة تعرض فيها المجاهدون إلى خسائر كبيرة، ولكن مع ذلك لم تتمكن القوة الإيطالية من المضي في التوغل في هذه المنطقة(٩٧).

وكردة فعل إيجابية قام المجاهدون في ٥ أكتوبر ١٩١٨ بمهاجمة المواقع الإيطالية في الجميل، حيث نشبت بينهما معركة عنيفة، كادت أن تهلك فيها القوات الإيطالية لولا استنجادها بالقوات الإيطالية في زوارة(٩٨)، وتمكن الإيطاليون من الفرار وترك أسلحتهم ومعداتهم الحربية ليغنمها المجاهدون الذين دفعتهم الانتصارات السابقة إلى التفكير في إنشاء حكومة مستقلة تتكون من زعماء البلاد وإجبار الحكومة الإيطالية على الاعتراف بها.

---

(٩٦) إيريك سالرنو، حرب الإبادة في ليبيا، (ت علي الصادق حسنين، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٤)، ص ص٢٢٣-٢٢٥، ٢٢٦.

(97) Gabelli, Ottone La Triplitania Dalla Finedella Guerra Mondiale All Arventc del Foscisno, Volume, 1, Airoldi Editore, Roma, 1939, pp.111-112.

(٩٨) خليفة التليسي، معجم معارك الجهاد، ص٢٠٤.

الخاتمة

اتضح لنا من خلال هذا البحث أن المجاهدين لبوا نداء الوطن إثر سماعهم بهزيمة القوات الإيطالية في معركة القرضابية لتكون حافزاً ومشجعاً لهم من أجل الضغط على قوات الإيطاليين المهزومة وحصرها في بعض المناطق وتكثيف الجهود الوطنية لتكوين ثورة عارمة تشمل جميع أجزاء البلاد، للضغط على قوات الاحتلال وتحقيق الاستقلال.

وبذلك استطاع المجاهدون إحراز العديد من الانتصارات على الحاميات الإيطالية في منطقة شرق طرابلس، حيث استطاعوا حصار القوات الإيطالية وقطع الإمداد والتموين والذخيرة عنهم، الأمر الذي أجبر هذه الحاميات على الانسحاب نحو الداخل.

ولم تكن أحوال الإيطاليين في الجبل الغربي بأحسن حال من مناطق شرق طرابلس، حيث تولى زمام الأمور في الجبل وقيادة المجاهدين شخصية مهمة متمثلة في خليفة بن عسكر الذي تمكن من جمع عدد كبير من المجاهدين تحت قيادته وقاموا بمهاجمة الطليان في معارك طاحنة استطاعوا في بعضها الانتصار عليهم ومحاصرتهم وفي بعضها الآخر استمروا حتى استسلام الإيطاليين والانصياع لشروطهم وتحقيق مطالب المجاهدين في تحرير أراضيهم.

لذلك اضطرت القوات الإيطالية للانسحاب من الجبل الغربي متجهة نحو طرابلس الغرب لتبدأ مرحلة جديدة من المقاومة أجبرت الإيطاليين على ترك مواقعهم في مناطق غرب طرابلس بعد تدمير الكثير من معداتهم العسكرية وحصرهم في مدينتي طرابلس والخمس، مما يدل على وحدة الصف الوطني وإيمان المجاهدين بنصرة قضيتهم وتحرير بلادهم.

المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية:

(١) الوثائق الإيطالية، ج١، ت شمس الدين عرابي، م.ج.ل.ط. د.ت.
(٢) الوثائق الإيطالية، مجموعة ٦، إعداد خليفة محمد الدويبي، إبراهيم سالم الشريف، م.ج.ل.ط. ١٩٩٠.

المراجع باللغة العربية:

(١) أبو القاسم الباروني، حياة سليمان الباروني، مكتبة الحلبي، ط٢، القاهرة، ١٣٦٧هـ.
(٢) أحمد عطية مدلل، التدخل الأجنبي في ليبيا ١٨١١-١٩١٥م، ج.م.ج.ل.ط، ٢٠٠٧.
(٣) إيريك سالرنو، حرب الإبادة في ليبيا، ت علي الصادق حسنين، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ط٢، د.م، ١٩٨٤.
(٤) خليفة محمد التليسي، بعد القرضابية، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ١٩٧٦.
(٥) صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، مطبوعات معهد البحوث والدراسات، القاهرة، ١٩٧٠.
(٦) الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦١.
(٧) الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣.
(٨) الطاهر الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة، دار الفرجاني، طرابلس، ١٩٧٦.
(٩) محمد المرزوقي، دماء على الحدود، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٧٥.
(١٠) محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر، الثورة والاستسلام، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٣.
(١١) محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨.
(١٢) محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي البطل الشهير بكفاحه للطليان، دار الفرجاني، طرابلس، ١٩٨٨.

أطالس ومعاجم:

(١) الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ١٩٨٨.
(٢) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١-١٩٣١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢-١٩٨٥.

مذكرات شخصية:

(١) جميل العارف، مذكرات عبد الرحمن عزام، ج١، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٧.
(٢) سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد، جمع وترتيب زعيمة الباروني، بيروت، ١٩٦٨.

الدوريات:

(١) عمر محمد المجدوب الزبيدي، نبأ حصار قوة الاستعمار في بني وليد سنة ١٩١٥، مجلة الشهيد، ع١١، م.ج.ل.ط. ١٩١٠.

المصادر الأجنبية:

(١) Gabelli, Ottone La Triplitania Dalla Fine Della Guerra Mondiale All Avventodel Fascismo, Volume, 1, Airoldi Editore, Roma, 1939.
(٢) Segato, La Ltlia Nella Guerre Mondiale, Milano, 1927.